

# بورتو نوفو (Porto-Novo): مدينة الأقبعة

فولبير رودريغ أديميهوسو (Fulbert Rodrigue Adjimehossou)

صحفي علمي، IMO Sciences، بنين

fulbertadjim@gmail.com

منذ عام 2023، تتحول مدينة بورتو نوفو (Porto-Novo) كل سنة غداة العيد الوطني، إلى مسرح مفتوح يحتفي بالأقبعة الإفريقية. ومرة أخرى أضفت الدورة التي انتظمت بين الثاني والثالث من أغسطس/ آب 2025 على هذه المدينة المكناة بـ «ذات الأسماء الثلاثة» أجواء روحانية تتناغم فيها القداسة مع الفن مستلهمة من تقاليد الفودون (vodoun) في البنين (Bénin).

تقع « بورتو نوفو » على بُعد ثلاثين كيلومتراً فقط من كوتونو (Cotonou)، وعلى مسافة مئة وعشرين كيلومتراً من لاغوس (Lagos)، وتتحول خلال شهر أغسطس إلى محطة لا مفر من الوقوف فيها وعليها في المشهد الثقافي الإقليمي. في يوم السبت، الثاني من أغسطس، كانت المدينة بأسرها تنبض على إيقاع الطبول ورنين الأجراس في أجواء احتفالية تخللتها مواكب استعراضية وأحياتها كائنات روحية بعروض مسرحية وفرجوية مبهرة تحولت إلى طقس جماعي. وأول ما يلفت الانتباه في هذا المشهد هو الحضور الطاعي للون الأحمر، إذ يغلب على ملابس المحتفلين وينتشر المشهد البصري لمواكبهم بكل ما يحمله هذا اللون من رمزية للقوة والحيوية، وتبلغ الاحتفالات ذروتها في العرض الكبير الذي تحتضنه مدينة آينونفي (Aïnonvi)، حيث تتجمع مئات الكائنات الروحية في مشهد احتفالي مهيب، يُجسد غنى الموروث الروحي وعراقة الطقوس الدينية لدى الشعوب التي ما تزال تحافظ على صلتها العميقة بالمقدس.

أبرزت دورة سنة 2025 مكانة النسوة بوصفهن المحور الأساس الذي تدور عليه الطقوس الفودونية (vodoun)، وذلك من خلال أناشيدهن وإيماءتهن الطقسية، ومعارفهن المتجذرة في الذاكرة الجماعية. لقد أُعيد الاعتبار لدورهن في الحفاظ على هذه الطقوس وصونها من التلاشي والضياع دون إغفال دور الأطفال، الذين يعتبرون حَمَلَة المستقبل الروحي وضمانة استمرارية هذا الموروث الرمزي من جيل إلى آخر. فنالوا، بدورهم، التكريم الذي يليق بمكانتهم.

## فسيفساء من الرموز والتقاليد الإفريقية

لقد أضفى الموكب الاحتفالي طابعاً خاصاً على المكان وجعله محملاً بالرموز والمعاني الروحية. ورُسخت الطقوس في الأرض الأم، حيث تحولت الأحواض المائية المُخصّصة للتطهير والكتبان الرملية إلى مسارح رمزية لظهور الكائنات الروحية التي قدمت إلى المدينة من مختلف مناطق «البنين» وغرب إفريقيا، في عروض استقطبت اهتمام الحاضرين دون أن تُفرغ الممارسات الاحتفالية من طابعها

How to cite this paper:

Adjimehossou, F. R. (2025). بورتو نوفو (Porto-Novo): مدينة الأقبعة

.Global Africa, (11), pp. 38-39 .

Published: September 20, 2025

<https://doi.org/10.57832/rt21-na02>

© 2025 by author(s). This work is openly licensed via CC BY-NC 4.0

القُدسي. وقد برزت، على وجه الخصوص، أفنعة نناوي (N'nawi) القادمة من نيجيريا (Nigeria)، والتي تُجسد أرواح الأحرار والقوى الحامية والسلطة المجتمعية والتضامن الجماعي جنباً إلى جنب مع قناع غونوكو (Gounouko) المهيّب، المنتمي إلى تقاليد الناعو (nago) واليوروبا (yoruba)، وقد رافقته الكاهنة بصوتها وإيقاعاتها، لتُعيد إليه قداسه من خلال أداء صوتي مُفعم بالقوة والرهبة. أما طقوس غيليدي (Guèlèdè)، المدرجة منذ سنة 2008 ضمن قائمة التراث الثقافي غير المادي للإنسانية لدى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة: اليونسكو، فقد أضفت على الاحتفال أبعاداً شعرية وروحية استثنائية، حيث امتزجت الإيقاعات النابضة لطبلة «غانغان (gangan)» مع الحركات الرمزية للأفنعة، في مشهد يُجسد الحكمة النسائية والخصوبة والتوازن الكوني. ومن الكوت دي فوار (Côte d'Ivoire)، فقد شارك في هذه الدورة قناع الزاولي (Zaouli)، المُعترف به هو أيضاً من قبل اليونسكو، ليُظهر الحاضرين برقصاته السريعة، وتناسقه الحركي الفريد، وجمالياته الفائقة التي تجعل منه رمزا للجمال والتضامن بين أفراد الجماعة.

من جهة أخرى كان للزانبيتو (Zangbèto)، المعروفين بـ«حراس الليل» لبورتو نوفو (Porto-Novo)، حضور بارز ومؤثر بتقديمهم عروضاً مدهشة كما احتفت المواكب، بطبيعة الحال، بالإغونغون (Egungun)، الأرواح العائدة من عالم الأسلاف، الذين تألقوا بأزياء رائعة وزخارفٍ بديعة، مؤكدين من خلال رقصاتهم وأناشيدهم أن «الأموات ليسوا أمواتاً» بل هم أحياء في الذاكرة و ومن خلال الطقوس.

## بين الفن والعلم والروحانية

لا يمكن اختزال مهرجان الأفنعة في مجرد حدث فرجوي وعرض فنيّ فحسب، وإنما ينبغي النظر إليه بوصفه فضاءً معرفياً تأملياً للتفكير ونقل المعارف. لذلك، عُقد في 2 أغسطس/آب 2025 مؤتمرٌ دولي في مدرسة التراث الإفريقي (École du patrimoine africain) تحت عنوان: «الإفا (Ifa)»، مدخل إلى إبستمولوجيا [مخصوصة] شارك فيه باحثون أكاديميون وحملة معارف طقسية وتقليدية من «البنين» ومن منطقة غرب إفريقيا عموماً تناولوا بالبحث أبعاد المعارف المحلية وطرق تحليلها وفهمها علمياً وناقشوا الممارسات والضوابط الأخلاقية ذات الصلة، إضافة إلى التساؤل عن مدى شمولية منظومة الفا (Fa) ودبوعها. وقد أتاح هذا اللقاء فرصة لإعادة تقييم قيمة المعرفة التقليدية من منظور أكاديمي معاصر، مع التأكيد على عمق الأبعاد الروحية والإنسانية لهذه المنظومة.

## الفا (Fa): منطق الحكمة، لا خرافة العادات

في أشغال هذا المؤتمر أكد البروفيسور ماهوغنون كاكبو (Mahougnon Kakpo)، رئيس لجنة الطقوس الفودونية في «البنين»، خلال مداخلة، أنّ «الإفا (Ifa) ليست من جنس المعتقدات الباطلة والبالية، بل هي حكمةٌ كونية قائمة على أسس معرفية متينة». وفي الاتجاه ذاته، أبرز البروفيسور النيجيري كايودي إيسولا (Kayode Eesoola) الوظيفة الرمزية لأفنعة الإفا (Ifa)، مبيّناً أنها تمثل وسيلة لربط الروحاني بالمادي في تقاليد شعوب غرب إفريقيا. أما وزير السياحة والثقافة والفنون في بنين، جان-ميشيل أبيمبولا (Jean-Michel Abimbola)، فقد ذهب أبعد من ذلك، مؤكداً أنّ «الإفا (Ifa) ليست مجرد تراث روحي، بل هي منظومة معرفية مكتملة الأركان (إبستمولوجيا)، تستند على الملاحظة، والرمزية، والسردي الشفهي، والمنطق التمثيلي».

وفي ختام النقاشات العلمية والفكرية التي شهدتها المؤتمر، أُعلن رسمياً عن مشروع افتتاح «بيت الفا» (Maison Ifa) في مدينة «بورتو نوفو» خلال الأشهر المقبلة ليكون مركزاً تفسيريّاً غايته تعزيز التفاعل والحوار بين الباحثين والحاملين للمعارف والطقوس التقليدية والفنانين والمواطنين. وفي الأثناء، تستعد مدينة ويدا (Ouidah) لاحتضان فعالية «أيام الفودون» (Vodun Days) في يناير/كانون الثاني 2026 لتضرب موعداً مآخراً في رزنامة الاحتفالات بالتراث الروحي والثقافي الإفريقي.